

تفسير السعدي

@ 319 @ يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) ^
يقول تعالى ممتنا على عباده ، في نصرهم بعد الذلة ، وتكثيرهم بعد القلة ، وإغنائهم بعد العيلة . ^ (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) ^ أي : مقهورون تحت حكم غيركم ^ (تخافون أن يتخطفكم الناس) ^ أي : يأخذوكم . ^ (فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات) ^ فجعل لكم بلدا تأوون إليه ، وانتصر من أعدائكم على أيديكم ، وغنمتم من أموالهم ، ما كنتم به أغنياء . ^ (لعلكم تشكرون) ^ ا على منته العظيمة ، وإحسانه التام ، بأن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا . ^ (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا ا والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن ا عنده أجر عظيم) ^ يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم ا عليه من أوامره ونواهيهِ . فإن الأمانة قد عرضها ا على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا . فمن أدى الأمانة استحق من ا الثواب الجزيل ، ومن لم يؤدها بل خانها ، استحق العقاب الوبيل ، وصار خائنا ا وللرسول ولأمانته ، منقضا لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات ، وأقبح الشيات ، وهي الخيانة ، مفوتا لها أكمل الصفات وأتمها ، وهي : الأمانة . ولما كان العبد ممتحنا بأمواله وأولاده ، فربما حملته محبته ذلك ، على تقديم هوى نفسه ، على أداء أمانته ، أخبر ا تعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي ا بهما عباده ، وأنهما عارية ، ستؤدى لمن أعطاهما ، وترد لمن استودعها) ^ (وأن ا عنده أجر عظيم) ^ . فإن كان لكم عقل ورأي ، فأثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة ، فالعقل يوازن بين الأشياء ، ويؤثر أولاهما بالإيثار ، وأحقها بالتقديم . ^ (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا ا يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وا ا ذو الفضل العظيم) ^ امثال العبد لتقوى ربه ، عنوان السعادة ، وعلامة الفلاح . ، وقد رتب ا على التقوى من خير الدنيا والآخرة ، شيئا كثيرا . فذكر هنا ، أن من اتقى ا ، حصل له أربعة أشياء ، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها : الأول : الفرقان وهو : العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال ، والحق والباطل ، والحلال والحرام ، وأهل السعادة من أهل الشقاوة . الثاني والثالث : تكفير السيئات ، ومغفرة الذنوب ، وكل واحد منها داخل في الآخر ، عند الإطلاق وعند الاجتماع . يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر ، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر . الرابع : الأجر العظيم ، والثواب الجزيل ، لمن اتقاه ، وآثر رضاه على هوى نفسه . ^ (وا ا ذو الفضل العظيم) ^ . ^ (وإذ يمكر بك

الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ^ أي :
^ (و) ^ اذكر ، أيها الرسول ، ما من الله به عليك . ^ (إذ يمكر بك الذين كفروا) ^
حين تشاور المشركون في دار الندوة ، فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إما أن
يثبتوه عندهم بالحبس ، ويوثقوه . وإما أن يقتلوه فيستريحوا بزعمهم من دعوته . وإما أن
يخرجوه ويجلوه من ديارهم . فكل أبدى من هذه الآراء رأيا رآه . فاتفق رأيهم ، على رأي
رآه شريبرهم ، أبو جهل لعنه الله ، وهو أن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش ، فتى ويعطوه
سيفا صارما ، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد ، ليتفرق دمه في القبائل ، فيرضى بنو هاشم
ثم بديته ، فلا يقدرّون على مقاومة جميع قريش ، فترصدوا للنبي صلى الله عليه وسلم في الليل
ليوقعوا به إذا قام من فراشه . فجاء الوحي من السماء وخرج عليهم ، فذر على رؤوسهم
التراب وخرج ، وأعمى الله أبصارهم عنه ، حتى إذا استبطؤوه ، جاءهم آت وقال : خيبكم الله ،
قد خرج محمد وذر على رؤوسكم التراب . فنفض كل منهم التراب عن رأسه ، ومنع الله رسوله
منهم ، وأذن له في الهجرة إلى المدينة . فهاجر إليها ، وأيده الله بأصحابه المهاجرين
والأنصار ، ولم يزل أمره يعلو حتى دخل مكة عنوة ، وقهر أهلها ، فأذعنوا له ، وصاروا تحت
حكمه ، بعد أن خرج